جامعـــة الأزهـــــر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

ماهية الإيـــمان في ضوء الدلالاتِ النقلية والعقلية

علاء الدين الأسمندي السمرقندي "تـ ٥٥٢هـ" أنموذجاً

إعداد

د إيمان محمد عبد الحميد علي جمعة

المدرس بقسم العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق - جامعة الأزهر

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثالث والأربعون، لعام ١٤٤٦هـ - ديسمبر ٢٠٢٤م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي I.S.S.N ٢٩٧٤-٤٦٦٠ و The Online ISSN ٢٩٧٤-٤٦٧٩

ماهية الإيـــمان في ضوء الدلالاتِ النقلية والعقلية علاء الدين الأسمندي السمرقندي "تـ ٥٥٢هـ" أنموذجاً

إيمان محمد عبد الحميد علي جمعة
قسم العقيدة والفلسفة- كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق- جامعة الأزهر- مصر.
البريد الإلكتروني: emangomaa.٢١٦٧@azhar.edu

- **ملخص البحث:**

الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، ذي العرش المجيد، والصـــلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين. إن من أهم المباحث التي تُعين على فهم العقيدة وضـــبط ما يُشـــكل منها، هو مبحث الإيمان، لذا أردت الحديث في تحقيق ماهية الإيمان، والرد على أهل المقالات المخالفين لما عليه أهل السنة والجماعة، وتحديد المراد من المصطلح، بكون أن حقيقة الإيمان هو التصـــديق، كما أنه ليس كل ســـلوك معبر عن الاعتقاد، بل المعتقد باعث ودافع على الســـلوك، ولا يلزم من فســـاد الســـلوك فســـاد المعتقد، فانحراف بعض المســـلمين عن الطريق المســـتقيم لا يلزم منه انحراف مبادئ الإيمان، ففرق بين التصديق وبين تطبيق الأفراد، لذا كان عنوان البحث: (ماهية الإيمان في ضوء الدلالاتِ النقلية والعقلية علاء الدين الأسمندي السمرقندي "تـ ٥٥٢هـ" أُنموذجًا)

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها أن: الإيمان هو المحور الجوهري لأمن المجتمع واستقراره، ينتج عنه الحرية الفردية التي تنتج الحرية المجتمعية، كما أن الفهم الصحيح لماهية الإيمان يؤدي إلى الاستقرار النفسي للإنسان، ويعصمه من الولوج في مزالق الكفر والتكفير.

الكلمات الافتتاحية: ماهية – الإيمان– الدلالات – ضـــوء – الأســـمندي السمرقندي.

(The nature of faith in light of transmitted and rational indications). Alaa al-Din al-Asmandi al-Samarqandi (d. ٥٥٢ AH) is a model

Iman Mohamed Abdel Hamid Ali Gomaa
Department of Creed and Philosophy, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Zagazig, Al-Azhar University, Egypt.
Email: emangomaa.٢١٦٧@azhar.edu.eg

Abstract:

Praise be to God, the Orignator of All, the Restorer, the Doer of what He wills, the Possessor of the Glorious Throne, and prayers and peace be upon the most honorable of creation, our Master Muhammad, may God bless him and grant him peace, and upon all his family and companions.

One of the most important topics that help in understanding the creed and controlling what is formed from it is the topic of faith, so I wanted speaking in investigating the nature of faith, and responding to the articles of people who disagree with what the people of Sunnah and Jama'ah are upon, and defining what is meant by the term, as the reality of faith is belief, and not every behavior expresses belief, but belief is a motive and motivation for behavior, and corruption of behavior does not necessarily mean corruption of belief, as the deviation of some Muslims from the straight path does not necessarily mean deviation of the principles of faith, so there is a difference between belief and the application of individuals, so the title of the research was: (The nature of faith in light of transmitted and rational indications). Alaa al-Din al-Asmandi al-Samarqandi (d. ٥٥٢ AH) is a model.

One of the most important results I reached is that: Faith is the essential axis of the security and stability of society, resulting in individual freedom that produces societal freedom, and a correct understanding of the nature of faith leads to psychological stability for the person, and protects him from entering the pitfalls of disbelief and excommunication.

Keywords : The nature - Faith - Semantics - Light – Asmandi Samarqandi.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، والصـــلاة والســـلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، معلم الناس الخير، خاتم النبيين رحمة للعالميين، شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرا.

أما بعد،،

إن أغلى ما لدى المسلم هي عقيدته التي يؤمن بها، وتعلم العقيدة والاعتناء بها تأصيلاً، وضبطًا، وفهمًا هي أهم المهمات، ومن أعظم الواجبات عليه، كما أن الإيمان بالله تعالى ضرورة لا يمكن النجاة من الدنيا والآخرة إلا بها، فهو في حقيقته يُعدّ بذرة بناء الإنسان التي يشبع بها قناعاته الذاتية، فهو أم الاعتقادات والسلوك وليد للمعتقد، وقد تباينت الآراء واختلفت حول معنى الإيمان عند بعض المتكلمين من نواحي عدة، (القلب، اللســـان، الجوارح)، وانطلقوا منها وقد بنوا عليها فيما بعد أحكام فاسدة اتخذتها بعض الفرق الضالة، سواء أكانت قديمة أم معاصرة، عاشوا في بوتقة فكرية قاصرة الفهم لم يستطيعوا الخروج منها، فأنزلوا الأحكام على غيرهم بالكفر، ومارســـوا تقطيع الرقاب بالجهل، فأردتُ من هذه الدراسة تعميق الفكر في اختيارات الفرق الكلامية وفهمهم لحقيقة الإيمان.

وكما أن المعلوم أن نهوض أي أمة من الأمم هو بالرجوع إلى تراثها العلمي والحضـــاري، وإلى ســـيرة علماؤها ومفكريها الذين أثروا الحياة العلمية بجهودهم، ومؤلفاتهم، والاستفادة من الأدوات المستخدمة سواء أكان ذلك في إقامة الدليل، أو في نقده؛ لإلزام الخصوم من ناحية، وزيادة اليقين من ناحية أخرى.

ولقد دوّن التاريخ الإسـلامي أسـماء علماء أجلاء، ومفكرين فضـلاء، قلما يخلو كتاب أو مرجع في العلوم الإسـلامية من ذكرهم، أو الاسـتفادة من علمهم، من بين هؤلاء الإمام علاء الدين أبو الفتح الأسمندي السمرقندي "تـــ ٥٥٢هـ"، أحد أعلام الماتريدية، وصـــاحب كتاب "الهد اية في أصـــول الاعتقاد" عنوان البحث.

لذا: أثرتُ أن أتناول هذا الموضوع تحت عنوان:

(ماهية الإيـمان في ضوء الدلالات النقلية والعقلية
علاء الدين الأسمندي السمرقندي "تـ ٥٥٢هـ" أُنموذجًا)

- **أسباب اختيار الموضوع:**

– الإطلاع على التراث الفكري الذي تركه لنا أعلام المدرسة الماتريدية.

– إلقاء الضوء على الخلاف الناشئ من الفهم الخاطئ لمصطلح الإيمان، الذي قد يصـــل إلى درجة الإنحراف، والزعم بأن انتفاء العمل يُوجب عنه انتفاء الإيمان، وإذا انتفى الإيمان تحقق الكفر، وتكفير الناس وترهيبهم من أثار الفهم الفاسد للإيمان.

– إثبات أن الفهم الصـــحيح لحقيقة الإيمان يؤدي إلى الاســتقرار النفســي والسلام المجتمعي.

- **خطة الدراسة**

ويتكون البحث من:

مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

التمهيد: التعريف بالشيخ الأسمندي السمرقندي.

المبحث الأول: ماهية الإيمان في الفكر الكلامي.

المبحث الثاني: الدلالات النقلية والعقلية عند الشيخ الأسمندي السمرقندي.

ثم **الخاتمة:** وتشتمل على أهم النتائج، ثم المصادر والمراجع.

التمهيد: التعريف بالشيخ الأسمندي السمرقندي

اسمه:

محمد بن عبد الحميد بن الحســـين بن الحســـن علاء الدين أبو الفتح الأسمندي السمرقندي[١].

مولده

ولد أبو الفتح الأســـمندي ســـنة ثمان وثمانين وأربعمائة، الموافق لعام "١٠٩٥م"، بقرية (أُسْمَند) من قرى سمرقند، وسُمي بالأسمندي نسبة إلى القرية التي ولد بها[٢].

ألقابه

يُلقب: بالإمام شيخ الإسلام[٣]، ومن أشهر ألقابه "أبو العلاء العالم[٤].

---

(١) يُنظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصـــطفى، (٣/ ١٨٢)، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م، وتاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـــ) تحقيق/ د. بشار عوّاد معروف، (١٢/ ٥٣)، دار الغرب الإسلامي، (ط١)، ٢٠٠٣م.

(٢) يُنظر: تاج التراجم، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي الحنفي (ت: ٨٧٩هـــ)، تحقيق/ محمد خير رمضان يوسف، ص ٢٦٥، دار القلم – دمشق، ط١/ ١٤١٣ هـ =١٩٩٢م، والأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـــ)، (٦/ ١٨٧)، دار العلم للملايين، الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢م.

(٣) يُنظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (ت ١٠٦٧ هـ)، تحقيق/ محمود عبد القادر الأرناؤوط، أكمل الدين إحسان أوغلي، (٣/ ١٦٧)، مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، ٢٠١٠م.

(٤) يُنظر: تاريخ الإسلام، للذهبي، (١٢/ ٥٣)، وطبقات المفسرين العشرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـــ)، تحقيق/ علي محمد عمر، ص ١٠٧، مكتبة وهبة – القاهرة، ط١/ ١٣٩٦.

علمه

يصفه أحد العلماء بأنَّه: كان فقيهًا، مناظرًا، بارعًا، له الباع الطويل في علم الجدل، وصنف التصانيف في علم الخلاف، وشاعت تصانيفه في البلدان، وسمع الحديثَ من علي بن عثمان الخراط، وروى عنه عبد الرحيم السمعاني، وأثنى عليه[1].

مذهبه

اتبع الأسمندي في مذهبه الفقي المذهب الحنفي، قال ابن النجار كان يعرف بالعلاء العالم من فحول الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة[2].

أما عن مذهبه الكلامي مذهب الماتريدية، فكان من أكابر علماء المذهب الماتُريدي.

(١) يُنظر: تاريخ الإسلام، للذهبي، (١٢/ ٥٣)، وتاج التراجم، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني، ص ٢٤٤.

(٢) يُنظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (ت: ٧٧٥هـ)، (٢/ ٧٤)، مير محمد كتب خانه – كراتشي.

مصنفاته

لقد تنوعت مؤلفات الإمام "الأسْمَندِي" في كثير من العلوم، فقد صنف في علم الكلام "الهداية في أصول الاعتقاد"، والفقه وأصوله "مختلف الرواية"، "بذل النظر"، "التعليقة"، "حصر المسائل"، "قصر الدلائل"، وفي التفسير "أملى"، وقد كان له باع طويل في علم الخلاف "شرح منظومة الخلافيات للنسفي "[1].

وفاته

سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة (٥٥٢) الموافق (١١٥٧م)، عن أربع وستين سنة[2].

(١) يُنظر: تاريخ الإسلام، للذهبي، (١٢/ ٢٠٢)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول، لحاجي خليفة، (٣/ ١٦٧)، والأعلام، للزركلي، (٦/ ١٨٧)، ومعجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (ت: ١٤٠٨هـ) (١٠/ ١٣٠)، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٢) يُنظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (ت: ق ١١هـ)، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، ص ١٨٦، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول، لحاجي خليفة، (٣/ ١٦٧) والأعلام، للزركلي، (٦/ ١٨٧).

المبحث الأول: ماهية الإيمان في الفكر الكلامي

المعلوم أن حقيقة الإيمان من الحقائق التي اختلفت الآراء في بيانها، وتشـــعبت الأقوال في جزئياتها، فلم تكن المدارس الكلامية من بدايتها لنهايتها متفقة في مفهومها؛ حيث بنت كل فرقة مذهبها في الأســـماء والأحكام على مقصـــودها، والمشـــهور أن الإيمان هو الاعتقاد بكل ما جاء به النبي ﷺ وما علم من الدين بالضـــرورة، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾(١).

كما ثبت عن النبي ﷺ أنه أجاب جبريل لما ســـأله عن الإيمان قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورســـوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشـــره"(٢)؛ ولبيان المقصـــود والهدف من البحث، **أبدأ أولاً ببيان ماهية الإيمان في اللغة والاصطلاح.**

- **– الإيمان في اللغة:**

وردت مادة (أ م ن) في اللغة على معان عدة، منها:

١- الثقة وإظهار الخضوع.

٢- قبول الشريعة.

---

(١) سورة البقرة، جزء من الآية٢٨٥.

(٢) صـحيح مسـلم، الحجاج أبو الحسـن النيسـابوري، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإســـلام، والقدر، (١/ ٣٦)، حديث رقم٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وسنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث (ت: ٢٧٥هـــ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، كتاب السنة، باب في القدر، (٤/ ٢٢٣)، حديث رقم٤٦٩٥، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٣- التصديق[١].

٤- الوقاية من الظلم، ومنه اسم الله – تعالى– المؤمن؛ لأنه "آمن" عباده من أن يظلمهم[٢].

- **في الاصطلاح:**

البين أن لفظة الاصـــطلاح تعني اتفاق جماعة أهل التخصـــص، والمقصود هنا أهل المدارس الكلامية، لكنْ: المدقق فيما ورد عنها يجد الاختلاف فيما بينها خاصــة في مسـألة ماهية الإيمان، وسـأعرض لهذا بإيجاز عند الفرق الكلامية ومعهم الشيخ الأسمندي:

الأشاعرة[٣]: اختار الأشاعرة التصديق تعريفًا للإيمان موافقة منهم لصحيح اللغة من ناحية، والاعتقاد من ناحية أخرى، والتي جاءت موافقة للناحية اللغوية،

---

(١) ينظر: تاج العروس في جواهر القاموس، محمد بن عبد الرازق الحسيني الزبيدي، تحقيق/ مجموعة من المحققين، (٣٤/ ١٨٧)، دار الهداية، لسـان العرب، لإبن منظور، تحقيق/ عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسـب الله، هاشـم محمد الشـاذلي، (١/ ١٤١)، دار المعارف، القاهرة.

(٢) مختار الصـــحاح، أبو بكر عبدالقادر الرازي، تحقيق/ محمود خاطر، ص٢٠، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – طبعه جديده، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

(٣) **الأشـــاعرة:** هم أتباع أبي الحســـن الأشـــعري (ت: ٣٢٤هـ)، الذي كان معتزليًا، ثم ترك الاعتزال، واتَّخذ له مذهبًا بين الاعتزال ومذهب أهل الســـنة والجماعة، ظهرت في القرن الرابع وما بعده، وقد اتخذت الأشـــاعرة والبراهين والدلائل العقلية والكلامية وســـيلة في محاجة خصـومها من المعتزلة والفلاسـفة وغيرهم إثبات حقائق الدين والعقيدة الإسـلامية، يُنظر: الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ)، ص١١٤، مؤسسة الحلبي، والإعتصام، لإبراهيم الغرناطي، الشهير بالشاطبي، تحقيق/ محمد بن عبدالرحمن الشـقير (٩٤/١)، دار الجوزي، المملكة العربية السـعودية، ط١ (١٤٢٩هـ)،

فقد نقل الإمام الآمدي أن: "الإيمان هو: التصـــديق بالقلب، وهو مذهب الشـــيخ أبي الحسن الأشعري[١]، والقاضي أبي بكر الباقلاني، والأستاذ أبي إسحق، وأكثر الأئمة، ووافقهم على ذلك ابن الراوندي[٢] من المعتزلة"[٣].

قال القاضي أبو بكر الباقلاني في التمهيد: "الإيمان هو التصديق بالله وهو العلم، والتصـــديق يوجد بالقلب، قال: فإن قيل فما الدليل على ما قلتم؟ قلنا: إجماع أهل اللغة قاطبة على أن الإيمان قبل نزول القرآن وبعثة النبي ﷺ هو التصـــديق لا يعرفون في اللغة إيمانا غير ذلك، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾[٤] أي: بمصدق لنا، فوجب أن الإيمان في الشريعة هو الإيمان في اللغة"[٥]، والتي عبرت بلســـان عربي فصـــيح على معناه، وعليه: فحقيقة الإيمان لم تتعد إلى شـيء آخر سـواء أكان إقرار اللسـان أو فعل الجوارح بل هي موقوفة عند حد القلب.

---

(١) يُنظر: اللمع للإمام الأشعري، صححه د. حمودة غرابة، صـ ١٢٣، مكتبة مصر، بالقاهرة ط/ ١٩٥٥م.

(٢) **ابن الروندي**: أحمد بن يحيى بن إســحاق ابن الراوندي أبو الحســين من أهل مرو الروذ سكن بغداذ وكان من متكلمي المعتزلة ثم فارقهم وصار، ولد ٢٩٨ هـــ، وتوفي٩١٠ م. يُنظر: الوافي بالوفيات، للصفدي، (٨/ ١٥١)، والأعلام، للزركلي، (١/ ٢٦٧).

(٣) أبكار الأفكار في أصول الدين، للإمام سيف الدين الآمدي (ت ٦٣١هـــ)، تحقيق أحمد محمد المهدي (٧/٥) مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ط٢، ويُنظر أيضًـــا: ما نقله الشيخ محمد يوسف الشيخ عن أبي منصور الماتريدي في كتابه محاضرات في علم التوحيد كلية أصول الدين، محمد يوسف الشيخ ـ ٨٨ ، مطبعة مخيمر القاهرة بدون تاريخ.

(٤) سورة يوسف، جزء من الآية١٧.

(٥) تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، لأبؤ بكر الباقلاني، تحقيق/ عمادالدين أحمد حيدر، ص٣٨٩، مؤسسة الدار الثقافية، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ =١٩٨٧م.

الماتُريدية(١): وذهبت الماتُريدية الجناح الثاني لأهل السنة والجماعة إلى أن الإيمان عندهم هو التصـــديق القلبي والإقرار باللســـان، وهو ما اختاره إمام الهدى أبو منصـور الماتُريدي – رحمه الله– من عبارة الإمام أبي حنيفة مؤسـس المذهب أو المدرسة على السواء(٢)، والمعين الأول للمدرسة.

وقد بين الماتريدي ذلك بقوله: "قد ثبت بأدلة القرآن وما عليه أهل الإيمان والذي جرى به من اللســـان أن الإيمان هو التصـــديق، به نؤمن، وبذلك جرت أحكام القرآن في الحلال والحرام"(٣)، والمدقق يجد أن الإيمان الماتريدي لم ينطق بالإقرار مباشرة، وإنما جعله من اللوازم التي لابد منها لجريان الأحكام في الدنيا.

لكنْ: التابعون للمدرسـة الماتريدية كانوا أوضـح في العبارة، ومنهم أنموذج البحث الشـيخ الأسـمندي السـمرقندي بقوله: "الإيمان هو التصـديق بالقلب في

---

(١) **الماتُريدية:** هم أتباع أبي منصـور محمد بن محمد الماتريدي السـمرقندي الحنفي، (ت: سنة ٣٣٣هـــ) و الماتريدية وإن كانوا يعترفون بهذه النسبة، إلا إنهم يعتقدون أن ما فعله الماتريدي ما هو إلا بسـط وشـرح لعقيدة الإمام أبي حنيفة النعمان – رحمه الله تعالى – وقد انطلت هذه الدعوى على كثير من الأحناف، فدانوا بمعتقد الماتريدي، ودافعوا عنه ونشـروه، واختصـوا بالنسـبة إليه دون غيرهم من سـائر المذاهب، الفرق الكلامية مدخل ودراسة، علي عبدالفتاح المغربي، ص، مكتبة وهبة القاهرة ط٢، ١٩٩٥م.

(٢) نقلا عن شرح وصـية الإمام أبي حنيفة في التوحيد ، ليوسـف بن خالد السـمتي، لوحة ١ ب مخطوط.

(٣) التوحيد، لأبو منصـور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق/ فتح الله خليف، ص ٣٣٢، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية.

الحقيقة، والإقرار باللسان ليظهر ذلك عند الناس، فتجري عليه أحكام المؤمن في الدنيا"[١]، ومن أهمها عصم الدماء والأموال وغيرها من الأحكام الواجبة للمسلم.

- اختيار المدرسة الماتريدية في ميزان النقد

لو دققنا النظر في لغة القرآن الحكيم لوجدنا أن الإيمان معروف عند أهل اللسان بالتصديق لا غير، فمن جعله لغير التصديق فقد صرف الاسم عن المفهوم في اللغة إلى غير المفهوم، ولو جاز ذلك لجاز في كل اسم لغوي، وفيه إبطال اللسان وتعطيل اللغة وذلك محال[٢]، ووجه البطلان أن اللغة التي ورد بها القرآن محددة المعاني، فلا لبس فيها عند ابتغاء الحقيقة اللغوية.

وقد يتبادر للذهن تساؤلاً فحواه: هل التعويل على الدلالة اللغوية في تعريف الإيمان يكفي في حد ذاته للتفسيرات المصطلحية والاصطلاحية؟.

وجواب ذلك نقول فيه: إن معرفة الأصـــل اللغوي في الدلالة هي جزء من فهم المعنى، وهذا ما بينه أنموذج البحث الذي اختارته الباحثة.

يقول الأسمندي السمرقندي: "كل لفظ ورد في الكتاب والسنة يجب حمله على مقتضى اللغة إلا أن يمنع منه مانع على ما عرف تمامه في موضعه، فإن كان الإيمان بالشئ في اللغة تصديقه، واعتقاد صدقه في اللغة كان كذلك في الشرع، فكان الإيمان بالله ورسله وكتبه تصديق ذلك القلب"[٣]، ثم يضيف مبينا أنه قد يُضاف إلى المعاني اللغوية في تعريف الإيمان اشتقاقات الآمان.

---

(١) يُنظر: الهداية في أصـــول الاعتقاد، لعلاء الدين محمد بن عبدالحميد الأســـمندي السمرقندي "تـــ ٥٥٢هـــ"، دراسة وتحقيق/ أ.د عبدالله محمد إسماعيل، ص٤١٥، دار الإمام الرازي، (ط١) ١٤٤٣هـ= ٢٠٢٢م.

(٢) يُنظر: تبصـرة الأدلة في أصـول الدين، أبي المعين النسـفي الماتريدي، تحقيق/ محمد الأنوار حامد عيسي، (٢/ ١٠٧٨)، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ٢٠١١م.

(٣) يُنظر: الهداية في أصول الاعتقاد، لعلاء الدين الأسمندي السمرقندي، ص٤١٦.

يُقال: الإيمان هو الإدخال في الآمان يقال: آمن إذا صـــار ذا أمان، فكان الإيمان بالله تعالى إدخال النفس في الأمان من عذاب الله تعالى بأداء طاعاته، والكف عن المعاصـي[١]، فإن قيل: لم عدى الإيمان إلى الله بالباء وإلى المؤمنين باللام؟.

قلنا: لأن الإيمان المعدى إلى الله المراد منه التصـــديق الذي هو نقيض الكفر، فعدى بالباء، والإيمان المعدى إلى المؤمنين معناه الاستماع منهم والتسليم لقولهم فيتعدى باللام[٢].

وهو ما أجاب عنه السمندي بقوله: "الإيمان قد يُذكر مطلقًا ويراد ما ذكرتم، أما الإيمان المعدّى بالباء لا يذكر لهذا المعنى، لا يقال: آمن بالله تعالى أو آمن بالبعث والنشــور أي: أدخل نفســه في الأمان، بل المراد منه ما ذكرناه، والكلام في الإيمان بالله تعالى لا في الإيمان المطلق"[٣]، والملاحظ أن الأســـمندي قد وضــع بجانب التصــديق كمعنى لغوي فكرة التســليم، فلا تصــديق بغير تســليم وإذعان.

وقد استدل الماتريدية على أن الإيمان هو التصديق وأن ضد الإيمان الكفر، والكفر هو التكذيب والجحود، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾[٤] المراد منها التكذيب، والتصديق لا غير فدل أن الإيمان ذلك[٥].

---

(١) يُنظر: الهداية في أصول الاعتقاد، لعلاء الدين الأسمندي السمرقندي، ص٤١٧.

(٢) يُنظر: مفاتيح الغيب، الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشـــافعي (١٦/ ٩٠) دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/ ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

(٣) يُنظر: الهداية في أصول الاعتقاد، لعلاء الدين الأسمندي السمرقندي، ص٤١٧، ٢١٨.

(٤) سورة البقرة، جزء من الآية٢٥٦.

(٥) يُنظر: تبصرة الأدلة في أصول الدين، أبي المعين النسفي الماتريدي، (٢/ ١٠٧٨٩).

ولنا هنا تســـاؤلاً: هل الإقرار شـــطر أم شـــرط؟ حيث اختلفت المدرســـة الماتريدية في فهم عبارة الإمام رحمه الله تعالى، فمنهم من قال الإقرار شـــرط لإجراء الأحكام الدنيويه فقط ومنهم من قال الإقرار شطر أي جزء الإيمان يسقط بسقوطه.

والشيخ الأسمندي السمرقندي من الماتُريدية القائلين بكون الإقرار شرط كمال فقط وليس شـطرًا، متفقًا مع الشـيخ أبو الحسـن الرسـتغنفي –رحمه الله– بقوله: "الإقرار باللسان شرط الإيمان عند سلامة الآلات ويُحكم بعدم الإيمان عند عدمه؛ لأنَّ من صحَّ تصديقه وإيمانه بقلبه لا يصبر عن الإقرار، فإذا صبر علم أن قلبه خالي عن التصـــديق، وهذا يرجع إلى ما ذكرنا من كون الإقرار مظهرًا للتصـــديق على الناس"(١)، فالإقرار باللســـان دليل على ما انعقد في القلب من التصـديق الذي يعني الإذعان، وهو بهذا نجده قريب الوفاق من الأشـاعرة الذين نطقوا بالتصديق فقط كحد فاصل بين الكفر وعدمه.

وهـذا مـا أكـده البـابرتي الحنفـي(٢) شـارح وصـية الإمـام أن الإقـرار هنـا لـيس شـطرًا بـل شـرطًا لإجـراء الأحكـام الدنيويـة فقـط، فقـال: "الإقـرار شـرط إجـراء أحكـام الإسـلام عليـه، هـذا هـو المـروي عـن أبـي حنيفـة رحمـه الله تعـالى، وإليـه ذهـب الشـيخ أبـو منصـور الماتريـدي وأبـو الحسـن الاشـعري والقاضـــي أبـــو بكـــر البـــاقلاني وأبـــو إســـحاق الاســـفرايني وإن كـــان ظـــاهر

(١) يُنظر: الهداية في أصول الاعتقاد، لعلاء الدين الأسمندي السمرقندي، ص٤١٦.

(٢) **البابرتي الحنفي:** (٧١٤ – ٧٨٦ هـ = ١٣١٤ – ١٣٨٤ م) محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي: علامة بفقه الحنفية، عارف بالأدب، نسبته إلى بابرتي (قرية من أعمال دجيل ببغداد) أو (بابرت) التابعة لارزن الروم – أرضروم – بتركيا، رحل إلى حلب ثم إلى القاهرة وعرض عليه القضاء مرارا فامتنع. وتوفي بمصر. يُنظر: الأعلام، للزركلي، (٧/ ٤٢).

كلامه في الكتاب يدل على مجموع الجزأين: الإقرار والتصديق، ... فإن الإقرار وإن كان جزءًا لكنه يحتمل السقوط بعذر الإكراه، والتصديق لا يحتمله"[١].

وقد استدل الشيخ الأسمندي السمرقندي على أن الإقرار باللسان شرط صحة الإيمان، فالدلالة عليه أن الإيمان إذا عدِّي بالباء يراد به التصديق لغة، فإن قائلاً لو قال: فلان مؤمن بالبعث، وفلان غير مؤمن يعني به أنه مصدق بالبعث، أو مكذب لا يفهم منه غير ذلك[٢]، والشرط[٣] هنا لا يقصد به تحقق ذاتية الإيمان، فوجود الإقرار كشرط عند عدمه ينعدم الإيمان من ناحية إجراء الأحكام الدنيوة، وعند وجوده لا يلزم وجود أو عدم الإيمان، فوضعه في التعريف عند الشيخ الأسمندي لبيان تحقق الأحكام الدنيوية فقط، لهذا: يمكننا الحكم على الشيخ بالدقة في بيان مراده.

(١) شرح وصية الإمام أبي حنيفة لأكمل الدين البابرتي (ت٧٨٦هـ) تحقيق/ محمد صبحي العايدي وجمزة محمد وسيم، صـ ٥١ ، ٥٢، دار الفتح ٢٠٠٩م

(٢) يُنظر: الهداية في أصول الاعتقاد، لعلاء الدين الأسمندي السمرقندي، ص٤١٦، ٤١٧.

(٣) الشرط: ما يلزمه من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته.

- **ماهية الإيمان عند الخوارج والمعتزلة:**

اتفق الخوارج[١] والمعتزلة[٢] على أن الإيمان اســـم لفعل القلب واللســـان والجوارح وجعلوا الثلاثة في مرتبة واحدة، وأنها أجزاء للإيمان، إذا ســـقط جزء سقط الإيمان.

---

(١) **الخوارج:** هي كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يســـمي خارجًا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان، وهم الذين خرجوا على علي -رضي الله عنه- بعد قبوله التحكيم وكانوا اثني عشـــر ألفًا، حيث اعتبروا قبول التحكيم كفر، وطلبوا منه أن يتوب على ذلك، وأشهر بدعهم هو تكفير مرتكب الكبيرة، ويسمون بالشراه؛ ويزعمون أنهم باعوا أنفســـهم لله، ويســـمون بالحرورية لإنحيارهم إلي قرية حروراء قريبًا من الكوفة، وســـموا بالمحكمة لرفعهم شـعار لا حكم إلا لله، يُنظر: الملل والنحل، للشـهرسـتاني، ص١١٤، والإعتصام، لإبراهيم الغرناطي، الشهير بالشاطبي، تحقيق/ محمد بن عبدالرحمن الشقير (٣٥٨/٣)، دار الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١ (١٤٢٩هـــ)، ولوامع الأنوار البهية، للســفاريني (٨٦/١)، والفرق الكلامية مدخل ودراســة، علي عبدالفتاح المغربي، ص ١٧٧.

(٢) **المعتزلة:** مؤسـسـها واصـل بن عطاء، واطلق عليهم هذا الإسم لأنهم فارقوا أهل السـنة والجماعة وانشـقوا عليهم، ويقال أن اسـم "المعتزلة" أطلقه عليهم خصـومهم بقصـد الذم، بينما يعده المعتزلة أنفسـهم اسـم مدح، ويرتضـونه لقبًا لهم، وهي فرقة لها نسـق مذهبي متكامل في علم الكلام، وهم أصـحاب النظر العقلي، وكانوا من أوائل الذين وسـعوا دائرة المعرفة الدينية بحيث تشـمل العقل، ويرجع إليهم الفضـل في انتعاش الحركة العقلية في الإسـلام، ويسـميهم "الماتريدي" بأنهم فرسـان الكلام، يُنظر: الملل والنحل، للشـهرستاني، (٤٣/١) وما بعدها، والفرق الكلامية الإســـلامية مدخل، ودراســـة، د/ علي عبدالفتاح المغربي، ص١٩٦: ١٩٨.

الخوارج: ذهبوا إلى أن كل طاعة إيمان، وكل معصـــية كفر، والكفر أغلب من الإيمان، فإذا صـــدر عن المكلف طاعة أو معصـــية اتصـــف بكونه كافرًا بمعصيته، ولا يتصف بكونه مؤمنًا بطاعته(١).

وقد ذكر السعد في المقاصد نقلا عن الخوارج أنّ: "الإيمان اسم لفعل القلب واللســـان والجوارح على ما يقال إنه إقرار باللســـان وتصـــديق بالجنان وعمل بالأركان، فقد يجعل تارك العمل خارجًا عن الإيمان داخلاً في الكفر وإليه ذهب الخوارج"(٢)، فكل واحد منها التصديق والإقرار والعمل شطر الإيمان، بواحد منها يسقط عندهم الإيمان.

المعتزلة: ذهبت إلى أن الإيمان اسم لمجموع الطاعات نفلاً كان أو فرضًا، ســـواء أكان من قبيل الأقوال أو الأفعال أو الاعتقادات، وذهب البعض إلى أن الإيمان هو الطاعات المفروضة دون النوافل(٣).

يقول القاضي عبد الجبار: "الإيمان عند أبي علي الجبائي وأبي هاشم عبارة عن أداء الطاعات: الفرائض، دون النوافل، واجتناب المقبحات، وعند أبي الهذيل

---

(١) يُنظر: عمدة العقائد، أبو البركات النسـفي، تحقيق/ عبدالله أسـماعيل، ص١٥٢، المكتبة الأزهرية– الجزيرة، ســـنة الطبع ٢٠١٣م، والهداية في اصـــول الاعتقاد، للأســـمندي السمرقندي، ص٤١٣.

(٢) شـــرح المقاصـــد في علم الكلام، ســـعد الدين مســـعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني"تـــــــ٧٩١هـ"، (٢/ ٢٤٨)، دار المعارف النعماني، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م (باكستان).

(٣) يُنظر: الهداية في أصول الاعتقاد، لعلاء الدين الأسمندي السمرقندي، ص٤١٦، ٤١٧.

عبارة عن أداء الطاعات، الفرائض منها والنوافل، واجتناب المقبحات، وهو الصحيح من المذهب"[١].

فالإيمان عندهم هو العمل بالأركان، بينما اختلفوا في حكم تارك العمل فهو يخرج من الإيمان إلى الكفر عند الخوارج، بينما هو خارج من الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة، فهو في منزلة بين المنزلتين.

وقد استدل المعتزلة على أن العمل شرط لصحة الإيمان بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[٢]

وجه الاستدلال بهذه الآية عند المعتزلة: استدل المعتزلة بهذه الآية على أن الإيمان لا يوصف به من ضيع أحد أركانه الثلاثة، ومن أهم هذه الأركان ركن العمل بجانب ركنى الاعتقاد والإقرار باللسان، وبناءً عليه أنكر المعتزلة أن يكون الإيمان هو الإقرار باللسان والاعتقاد بالقلب فقط، بل العمل شرط صحة للإيمان.

يقول القاضي عبد الجبار: "إن الإيمان ليس هو القول باللسان أو اعتقاد القلب على ما ذهب المخالف إليه، ولكنه كل واجب وطاعة؛ لأنَّه تعالى ذكر في صفة المؤمن ما يختص بالقلب وما يختص بالجوارح، لما اشترك الكل في أنه من الطاعات والفرائض[٣].

---

(١) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار، تحقيق/ عبد الكريم عثمان، تعليق/ الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، ص ٧٠٧، مكتبة وهبة، ط٣، ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م.

(٢) سورة الأنفال آية ٢،٣.

(٣) متشابه القرآن، للقاضى عبد الجبار أحمد الهمذاني، تحقيق/ د. عدنان محمد زرزور، (١/ ٣١٢)، مكتبة دار التراث.

- **موقف الأسمندي منهما.**

وقد خالفهم الأسمندي السمرقندي بقوله: "صاحب الكبيرة إذا لم يكن مستحلاً لها، ولا مستخفًا لمن نهى عنها مؤمن حقيقة، واسمه ذلك لم يزل عنه إيمانه ولا ينقص؛ ولكنه يسمى فاسقًا أيضًا، وحكمه أنه لو مات قبل التوبة فإنه حينئذ يصير تحت مشيئته إن شاء عفا عنه بفضله وكرمه، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه ثم عاقبة أمره الجنة لا محالة ولا يُخلد في النار"(١)، لكونه مؤمنًا، والإيمان لا ينقضي إلا بالتصديق فقط.

- **ماهية الإيمان عند النجارية والكرامية والمرجئة.**

وذهبت **النجارية**(٢) إلى: الإيمان هو المعرفة بالقلب والإقرار باللسان(٣).

فالإيمان عندهم هو: معرفة الله ورسوله، والفرائض التي أجمع عليها المسلمون، والخضوع له بجميع ذلك والإقرار باللسان(٤)، وأن

---

(١) الهداية في أصول الاعتقاد، لعلاء الدين الأسمندي السمرقندي، ص ٤٣٦، ٤٣٧.

(٢) **النجارية**: أصحاب الحسين بن محمد النجار، وهم الحسينية، وأكثر معتزلة الري وما حواليها على مذهبه، يُنظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تحقيق/ هلموت ريتر، ص٢٨٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، والفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، ص١٩٥، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧م.

(٣) يُنظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، ص ١٣٧، والفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، ص ١٩٤.

(٤) يُنظر: غاية المرام في علم الكلام أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت: ٦٣١هـ) تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، ص ٣١٠، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.

الإيمـان لا يكـون إلا بالعمـل بمجمـوع الخصـال التـي هـي مجموعـة طاعـة، والطاعـة المفـردة لا تُسـمى إيمانًـا، وإن طريقـة تحصـيل المعرفـة القلبيـة هـو: النظـر وبمـا أن المعرفـة واجبـة، النظـر واجـب[1]، وبنـاء عليـه: لا يتحقـق الإيمـان عنـدهم إلا بعـد حصـول النظـر المعـدّ سـببًا للمعرفـة، ولا فـرق بـين قدرات البشر عندهم.

فالنجاريـة تعتبـر قريبـة مـن المرجئـة فـي بـاب الإيمـان، وإن كـان إرجـاؤهم أخـف مـن الجهميـة[2] التـي جعلـت الإيمـان مجـرد المعرفـة بالقلـب والكفر هو الجهل.

فالإيمـان عنـد الجهميـة: هـو عقـد بالقلـب فقـط وإن أظهـر الكفـر والتثليـث بلسـانه وعبـد الصـليب فـي دار الإسـلام بـلا تقيـة، وكمـا ذكـره الأشعري هو المعرفة بالله فقط والكفر هو الجهل به فقط[3].

---

(١) يُنظر: تبصـرة الأدلة، لأبي المعين النسـفي، (٢/ ١٠٧٥)، والهداية في أصـول الاعتقاد، لعلاء الدين الأسمندي السمرقندي، ص ٤١٤.

(٢) **الجهمية:** فرقة من فرق المسلمين، انتحلت مذهب الجهم بن صفوان، ثم توسعت بعد ذلك شـأن المذاهب كلها، وكثرة رجالها، وتفرعت مسـالكها، وأول ظهور لها كان في بترمذ، ومن أشـهر الأقوال في مذهبهم: هو تأويل آيات الصـفات كلها، والجنوح إلى التنزيه البحت، وبه نفي أن يكون لله تعالى صـفات غير ذاته، وأن يكون مرئياً في الآخرة ، وأن يتكلم حقيقة وأثبتوا أن القرآن مخلوق، تاريخ الجهمية والمعتزلة، للشـيخ/ جمال الدين القاسمي الدمشقي ص٩، ١٩، مؤسسة الرسالة ، ط١، سنة ١٣٩٩هـ =١٩٧٩م.

(٣) مقالات الإسـلاميين، للأشـعري، ص٢٧٩، والفصـل في الملل والأهواء، ابن حزم الأندلسي، (٢/ ٨٨).

وتقصد النجارية في تعريفها للإيمان بمعرفة الله تعالى: المعرفة الثانية[١] المتعلقة بالسماع، ومعه النطق والخضوع[٢]، وعليه يُعتبر العمل خارج الإيمان عندهم.

أمَّا **الكرامية**[٣] فذهبوا إلى: إن الإيمان هو الإقرار المجرد[٤]، فهو الإقرار باللسان فقط، دون التصديق القلب ودون سائر الأعمال، وفرقوا بين تسمية المؤمن فيما يرجع إلي أحكام الظاهر والتكليف، وفيما يرجع إلى أحكام الآخرة والجزاء، فالمنافق عندهم مؤمن في الدنيا على الحقيقة مستحق للعقاب الأبدي في الآخرة[٥].

ونستأنس هنا بما أورده الإمام الأشعري عما ذهب إليه الكرامية بقوله: "إن الكرامية بناء على مذهبهم في انعقاد حقيقة الإيمان بمجرد الإقرار اللساني زعموا إيمان المنافقين على عهد رسول الله ﷺ، كما زعموا أن وقوع الكفر بالله سبحانه مناطه جحود وإنكار للحق سبحانه وتعالى باللسان"[٦].

---

(١) **أنواع المعرفة:** الرب سبحانه وتعالى يدعو عباده في القرآن إلى معرفته عن طريقين:
الأول: النظر في مفعولاته، فتلك آياته المشهودة.
الثاني: التفكر في آياته وتدبرها، وهذه آياته المسموعة المعقولة.

(٢) يُنظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص١٩٤.

(٣) **الكرامية:** هم أصحاب محمد بن كرام ، وهم طوائف بلغ عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة ، وأصولها ست: العابدية، والتونية، والزرينية، والإسحاقية، والواحدية، وأقربهم الهيصمية، ولكل واحدة منهم رأى، إلا أنه لما لم يصدر ذلك عن علماء معتبرين، بل عن سفهاء أغنام جاهلين، الملل والنحل، للشهرستاني، (١/ ١٠٨).

(٤) يُنظر: الهداية في أصول الاعتقاد، لعلاء الدين الأسمندي السمرقندي، ص ٤١٤.

(٥) يُنظر: الملل والنحل، لأبي الفتح عبدالكريم الشهرستاني، (١/ ١١٣).

(٦) مقالات الإسلاميين وإختلاف المصليين، أبو الحسن الأشعري ، ص ١٤١.

وقد وافق الكراميةَ في ذلك بعضُ **المرجئة** [١] بأن الإيمان هو الإقرار فقط، وقد واستدل الكرّاميّة على مذهبهم بقوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٥﴾ [٢] رتب الإثابة على مجرد القول، فلو لم يكن الإيمان مجرد القول لما جازاهم بهذا، وقد يتصور البعض أن الإيمان ينعقد بالتصديق اللساني وهذا شغب في المسألة؛ لأن الله تعالى قد نفى الإيمان عمّن أقر بلسانه ففى كونهم مؤمنين يقول الفخر الرازي: "ولو كان الإيمان بالله عبارة عن التصديق اللساني لما صح هذا النفي، كما في قوله تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ٨﴾ [٣]،[٤].

كما زعمت الكرامية: أن العارف بالله تعالى إذا مات قبل اتفاق الإقرار، ليس بمؤمن وإن كان من أهل الجنة، والمنافق مؤمن وهو يُخلد

---

(١) هؤلاء البعض هم أصحاب أبي ثوبان يزعمون أن الإيمان هو الإقرار بالله وبرسله وهم الفرقة الخامسة من المرجئة، وتعريف المرجئة: الإرجاء على معنيين: أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾، أي أمهله وأخره، والثاني: إعطاء الرجاء، أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح، وهم أصحاب محمد بن كرام، وهم طوائف بلغ عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة، وأصولها ست: العابدية، والتونية، والزرينية، والإسحاقية، والواحدية، وأقربهم الهيصمية، ولكل واحدة منهم رأى، إلا أنه لما لم يصدر ذلك عن علماء معتبرين، بل عن سفهاء أغنام جاهلين، الملل والنحل، للشهرستاني، (١/ ١٣٨).

(٢) سورة المائدة، الآية ٨٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٨.

(٤) مفاتيح الغيب، الإمام التميمي الرازي (٢/ ٢٥).

فـي النـار[1]، فـالزعم يعنـي كـذب وتهمـة ترقـت لـديهم مـن الظـن إلـى اليقـين، وهذا هو التصوير الدقيق لحالهم.

والمنقـول عـن هـؤلاء لا يثبـت عـن صـحة ويقـين ومـردود عليـه، فـإبليس عـرف ربـه وأقـر بـه، ومـع ذلـك حكـم الله عليـه بـالكفر ولـم يثبـت لـه إيمـان فـي القـرآن ولا السـنة، وهـذا مـا أشـار إليـه الشـيخ فـي الدلالـة السـياقية والعقلية في ماهية الإيمان عند الفرق الكلامية.

(١) يُنظر: الهداية في أصول الاعتقاد، لعلاء الدين الأسمندي السمرقندي، ص ٤١٤، ٤١٥.

المبحث الثاني: الدلالات[1] النقلية والعقلية عند الشيخ الأسمندي السمرقندي

ولقد ســـاق الأســـمندي في بطلان أقاويل المخالفين لكون الإيمان هو التصديق، دلالات نقلية وعقلية، نوردها على النحو التالي:

- **الدلالة العقلية التي ساقها الأسمندي في الرد على الخوارج:**

اســتدل الأســمندي ببطلان كون الأعمال من الإيمان على بطلان مذهب الخوارج ككل، حيث يقول: (إذا دللنا على بطلان القول بأن الأعمال ليســت من الإيمان يبطل قولهم ضرورة).

فحوى الدليل: لو كان كل طاعة إيمانًا، وكل معصية كفر، فكان ينبغي أنه إذا أتى المكلف بالطاعة والمعصية في زمان واحد أن يكون مؤمنًا وكافرًا في حالة واحدة، ولم يقل به أحد، وقولهم أن الكفر أغلب من الإيمان فمجرد عبارة؛ لأن الطاعة إذا وجدت وهي إيمان حقيقة، يجب اتصاف الشخص بكونه مؤمنًا، كما أن المعصية إذا وجدت وهي كفر حقيقة يجب اتصاف الشخص بكونه كافرًا، فيؤدي إلى ما ذكرناه[2]، ولأن في هذا تقوية لمذاهب الإحباط والتكفير .

---

(١) الدلالة لغةً: الهداية.

واصطلاحًا: فالدَّلالة كما عرفها المنطقي "قطب الدين الرازي" بأنّها: "كون الشيء بحالة بحيث يلزم من العلم به العلم بشـــيء آخر، والشـــيء الأول هو الدال، والثاني المدلول، يُنظر: تحرير القواعد المنطقية، قطب الدين محمود بن محمد الرازي (ت٧٦٦هـ)، شرح الرسالة الشـمسـية، نجم الدين القزويني الكاتبي (ت٦٩٣هـــ)، حاشـية الشـريف الجرجاني، (ت٨١٦هـــ)، ص٢٨، مطبعة البابي الحلبي، ط٢ (١٣٦٧هـــ=١٩٤٨م)، والمنطق الصـوري (التصـورات والتصـديقات)، إعداد/ د. يوسـف محمود، ص٦٨، دار الحكمة، الدوحة، ط١ (١٤١٤هـ= ١٩٩٣م)

(٢) الهداية في أصول الاعتقاد، لعلاء الدين الأسمندي السمرقندي، ص ٤١٨.

- **الدلالة النقلية والعقلية التي ساقها الأسمندي في الرد على المعتزلة:**

الدلالة على بطلانه ما ذكرناه أن الإيمان في اللغة هو التصديق وما قالوه خروج عن موجب اللفظ والدليل عليه: أن الإيمان ضد الكفر، والله تعالى قابل الإيمان بالكفر بقوله تعالى:﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾(١)، والكفر جحود وإنكار وتكذيب دون الأعمال، فكذا الإيمان يكون إقرارًا وتصديقًا، ولا يكون من باب الأعمال، والدليل عليه أن الله تعالى فرَّق بين الإيمان والطاعات، وعطف الطاعات على الإيمان، لقوله تعالى:﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨﴾(٢)، وقوله تعالى في مواضع: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾(٣)، وكذا أمر بأشياء ثم قال:﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨﴾(٤)، نحو قوله:﴿وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾(٥)، وقوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم

(١) سورة البقرة، جزء من الآية ٢٥٦.
(٢) سورة التوبة، الآية ١٨.
(٣) سورة البقرة، جزء من الآية ٢٧٧.
(٤) سورة البقرة، جزء من الآية ٢٧٨.
(٥) سورة الأنفال، جزء من الآية ١.

مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾[1] إلى غير ذلك من الآيات التي توجب تمييز الإيمان عن الطاعات وعطفها عليه، واشتراط الإيمان لقبول الطاعات[2].

وللتفتازاني في الرد على الخوارج والمعتزلة في كون الأعمال غير داخلة في حقيقة الإيمان وجوه، نذكر منها:

الأول: ما مر أنه اسم للتصديق ولا دليل على النقل.

الثاني: النص والإجماع على أنه لا ينفع عند معاينة العذاب ويسمى إيمان اليأس ولا خفاء في أن ذلك إنما هو التصديق والإقرار إذ لا مجال للأعمال.

الثالث: النصـــوص الدالة على الأوامر والنواهي بعد إثبات الإيمان كقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾[3].

الرابع: النصـــوص الدالة على أن الإيمان والأعمال أمران متفارقان كقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[4].

ومن يؤمن بالله ويعمل صـالحا ومن يأته مؤمنًا قد عمل الصـالحات ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن وسئل النبي ﷺ عن أفضل الأعمال فقال:

(إيمان لا شك فيه وجهاد لا غلول فيه وحج مبرور)[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٧٨.

(٢) الهداية في أصول الاعتقاد، لعلاء الدين الأسمندي السمرقندي، ص٤١٨: ٤٢٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٣.

(٤) سورة البقرة، جزء من الآية ٢٧٧.

(٥) مسـند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسـد الشـيباني (ت: ٢٤١هـــ)، أحمد محمد شـاكر، (٧/ ٣٠٠)، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ = ١٩٩٥م.

والخامس: الآيات الدالة على أن الإيمان والمعاصـــي قد يجتمعان كقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾[1]، و ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ﴾[2]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾[3]، ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ٥﴾[4].

السادس: الإجماع على أن الإيمان شرط العبادات.

السـابع: أنه لو كان اسـما للطاعات فأما للجميع فيلزم انتفاؤه بانتفاء بعض الأعمال فلم يكن من صـــدق وأقر مؤمنا قبل الإتيان بالعبادات والإجماع على خلافه وعلى أن من صـدق وأقر فأدركه الموت مات مؤمنا قال في التبصـرة قد أجمع المسلمون على تحقيق اسم الإيمان وإثبات حكمه بمجرد الاعتقاد وأما لكل عمل على حدة فيكون كل طاعة إيمانا على حدة والمنتقل من طاعة إلى طاعة منتقلا من دين إلى دين[5].

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٨٢.

(٢) سورة الأنفال، جزء من الآية ٧٢.

(٣) سورة الأنفال، جزء من الآية ٧٢.

(٤) سورة الأنفال، جزء من الآية ٥.

(٥) شرح المقاصد، للتفتازاني، (٢/ ٢٥٥).

- **دلالة السياق فيما تعلق به الخصوم:**

تعلق الخصوم بقوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾[1]، أي: صلواتكم إلى بيت المقدس، فقد جاءت هذه الآية في معرض الحديث عن تحويل القبلة، وفسّر الخوارج الإيمان هنا بالصلاة والتي تعني العمل؛ وبناء عليه: أصبح هذا العمل داخل في حقيقة الإيمان.

وقوله ﷺ (الإيمان بضع وسبعون بابًا)[2]، وعد فيها الأعلام الظاهرة.

- **رد الأسمندي على ما تعلق به الخصوم:**

لقد أورد الأسمندي السمرقندي ردودًا على ما ساقه الخصوم واستشهدوا به في كون الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان، قائلاً:

أما الآية الأولى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ فلا حجة لهم فيها؛ لأنَّه يحتمل أن المراد في الإيمان المذكور فيها تصديقهم جواز الصلوات إلى بيت المقدس فيكون حقيقة، ويحتمل أن المراد به نفس الصلاة مجازًا؛ لأن الإيمان من شرطها، أو لأن الصلاة دالة على الإيمان والتصديق، دلَّ عليه: أن المراد من الآية هو المجاز بالإجماع، بأن عندهم الصلاة المجردة والطاعة الواحدة ليست بإيمان حقيقة، فإذا كان مجازًا ذهب التعلق به[3].

وهو ما أشار إليه الرازي بقوله: "لا نسلم أن المراد من الإيمان ههنا الصلاة بل المراد منه التصديق والإقرار فكأنه تعالى قال أنه لا يضيع تصديقكم

---

(١) سورة البقرة:١٤٣.

(٢) الجامع الكبير، سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، (٤/ ٣٠٦)، دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.

(٣) الهداية في أصول الاعتقاد، لعلاء الدين الأسمندي السمرقندي، ص ٤٢٠: ٤٢١.

بوجوب تلك الصـلاة سـلمنا أن المراد من الإيمان ههنا الصـلاة ولكن الصـلاة أعظم الإيمان وأشـرف نتائجه وفوائده فجاز إطلاق اسـم الإيمان على الصـلاة على سبيل الإستعارة من هذه الجهة"(١).

ونستشهد هنا بما أورده التفتازاني في المقصود بقوله تعالى: "﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ أي صـلاتكم إلى بيت المقدس وأجيب بأن المعنى تصـديقكم بوجوبها أو بكونها جائزة عند التوجه إلى بيت المقدس أو هو مجاز لظهور العلاقة وهو كون الصلاة من شعب الإيمان وثمراته ومشروطة به ودالة عليه على ما قال النبي عليه الصـلاة والسـلام بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة"(٢).

كما أن الأحاديث التي وردت في سبب نزول الآية تصرف معنى الإيمان إلى أصله التصديقي دون الركنية الثلاثية، إذ ورد أن سيدنا عبدالله بن عباس رضـي الله عنها قال: لما وجه النبي ﷺ إلى الكعبة ، قالوا يا رسـول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهو يصلون إلى بيت المقدس، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾(٣).

وأمَّا **الحديث** الذي ساقه الخصوم في هذا الصدد:

فهو حديث واحد لا يصـح التعلق به في باب الاعتقاد، وعلى أنهم تركوا العمل بظاهر الحديث، فإنه يقتضـي أن شـهادة أن لا إله إلا الله شـعبة من

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، (٤/ ٩٨).
(٢) شرح المقاصد، للتفتازاني، (٢/ ٢٥٦).
(٣) سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي، (٥/ ٥٨)، "حسن صحيح"

الإيمان، فإنه قال: (أعلاها شـــهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)، والمركب من جملة أشياء لا يكون لكل ركن منه اسمه وحكمه[١].

- **الدلالة النقلية والعقلية التي ساقها الأسمندي في الرد على النجارية:**

أبطل الأســـمندي الســـمرقندي ما ذهبت إليه النجارية من أن الإيمان هو المعرفة بالقلب والإقرار باللسـان، حيث يقول الأسـمندي: فالدلالة عليه بطلان ما ذكرنا أن الإيمان هو التصـديق، والمعرفة لا تُسـمى تصـديقًا، والدليل عليه: أن هذا يقتضـــي أن من عرف الله تعالى بقلبه، وأنكره بلســـانه وقلبه، ولم يعتقده أن يكون هو مؤمنًا حقًا، وهذا باطل بالإجماع[٢]، فمعرفة الإنســـان بالمذاهب الإلحادية والأطروحات المنحرفة لا يعني التصـــديق بها، فليس كل ما أعرفه أصدق به.

وما يدل على ضـــعف هذا المذهب أنه يلزم بناء عليه أن يكون إبليس مؤمنًا؛ لأنه عرف ربه وناداه كثيرًا، وكذلك يلزم أن يكون اليهود والنصـــارى مؤمنين؛ لأنهم عرفوا النبي محمد ﷺ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ [٣]، والكفار عرفوا أن الله خالق السـموات والأرض وما بينهما، وإن أصـابتهم الشـدائد فلا يدعون إلا الله.

---

(١) الهداية في أصول الاعتقاد، لعلاء الدين الأسمندي السمرقندي، ص ٤٢٠: ٤٢١.
(٢) الهداية في أصول الاعتقاد، لعلاء الدين الأسمندي السمرقندي، ص ٤٢٢، ٤٢٣.
(٣) سورة البقرة، الآية ١٤٦.

كما أن الواقع والدليل يخالف ما ذهبوا إليه، إذ نرى في وقائع الأعيان من عرف وأنكر، فلم تنفعه معرفته، ولعلّ هذا ما أشار إليه الحق سبحانه وتعالى بقولـه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ (١) هذا بالنسبة لمطلق المعرفة، فلابد من العلم أن هذا أمر غير متصور.

فمدار المعرفة في القرآن الكريم منعقد بالظواهر دون البواطن، ومن ثم فالقول بالمعرفة القلبية يحاول البعض أن يجعل لها مع التصـــديق موعد ولقاء إنما هو خروج بالنص عن مقتضـــياتـه، وشـــاهد ذلك قول الله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾(٢) أي علامات ظاهرة مميزة، وقوله سـبحانه: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾(٣) أي بعلاماتها المميزة الظاهرة، وقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِۚ﴾(٤) أي ظهر على ألسنتهم ما يعرف به حالهم.

أما إذا تعلق الأمر بأمور قلبية فإن الأنسـب في التعبير عنها هو العلم لا المعرفة، يقول سـبحانه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾(٥)، ولتقويه هذا المعنى للعلم وتعلقه بالقلوب والضمائر كان الختام في عجز الآية: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾؛ولأن العلم يمتد إلى قطر إدراكية تتعدى

(١) سورة النمل، الآية ١٤.
(٢) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٧٣.
(٣) سورة محمد: جزء من الآية ٦.
(٤) سورة محمد: جزء من الآية ٣٠.
(٥) سورة المائدة: ١١٦

العلامات الظاهرية كانت التفرقة بين ما يليق بالعبد، وما تختص به الذات الإلهية من نفى للعلم عن الإنسان وإثباته لله ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1].

- **الدلالة النقلية والعقلية التي ساقها الأسمندي في الرد على الكرامية:**

لقد اختارت الكرامية في مذهبها بأن ماهية الإيمان هي الإقرار باللسان فقط مجرد عن التصديق والعمل، وزعموا بإيمان المنافق، مُخالفين ما أجمع عليه العلماء بأنه كافر، فضلا على أن هذا المذهب يعد مدخلاً للانهيارات الاجتماعية وزوال الحضارات؛ لكونه يرسخ للنفاق الأخلاقي بين الناس.

يقول أبو المعين النسفي: "من يقول أن الإيمان هو القول المجرد، وليس في القلب منه شئ باطل، يكاد يبلغ مبلغ إنكار النصوص فإن الله تعالى قال في المنافقين: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾[2]، ولو لم يكن بالقلب إيمان، لم يكن لهذا القول فائدة"[3].

ولقد ساق الأسمندي الأدلة النقلية والعقلية على بطلان هذا القول:

ومن الأدلة النقلية التي ساقها الأسمندي على بطلان إيمان المنافق:

١- قوله تعالى في المنافقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا لَا يَحۡزُنكَ يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾[4]،

---

(١) سورة البقرة: ٢١٦

(٢) سورة المائدة، جزء من الآية٤١.

(٣) تبصرة الأدلة، للنسفي، ج٢، ص١٠٨٤.

(٤) سورة المائدة، جزء من الآية ٤١.

ولو كان الإيمان باللسان ولا تعلق له بالقلب لما صح هذا الكلام، قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ﴾ (١).

ودل عليه أيضًـــا قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾(٢)، وقوله تعـالى:﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾(٣)، إلى غير ذلـك من الآيـات الموجبة لاختصاص الإيمان بالقلب.

ودل عليه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾(٤)، ولو كان مختصًـــا باللســـان لصـــار كأنه قال: إلا من أكره وقلبه مطمئن، وذلك محال، ولا شـــبهة لهؤلاء إلاَّ أنهم رأوا إجراء الأحكام من الإيمان على من أقر بلســـانه، وعدم إجرائها على من لم يقرها بلســـانه، وذلك لما ذكرنا أن الإقرار باللســـان دليل على أن الإيمان الذي في القلب لا نفس الإيمان والأحكام تبنى على الدليل، كما قال الله تعالى: ﴿فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ﴾(٥)، فثبت أن الإيمان هو التصديق بالقلب(٦).

يقول الأسـمندي: "الدلالة على بطلانه أنه يقتضـي أن يكون المنافق مؤمنًا حقًا، وهذا باطل"(٧)، فالجمع بين صـحيح المعتقد وفاسـده في جزئية واحدة وقلب واحد وهذا في حد ذاته تناقض.

---

(١) سورة الحجرات، جزء من الآية ١٤.

(٢) سورة الحجرات، جزء من الآية ١٤.

(٣) سورة المجادلة، جزء من الآية ٢٢.

(٤) سورة النحل، جزء من الآية ١٠٦.

(٥) سورة الممتحنة، جزء من الآية ١٠.

(٦) الهداية في أصول الاعتقاد، لعلاء الدين الأسمندي السمرقندي، ص ٤٢١، ٤٢٢.

(٧) الهداية في أصول الاعتقاد، لعلاء الدين الأسمندي السمرقندي، ص ٤٢٢.

أضف إلى ذلك المقابلة التي وردت في آيات القرآن الكريم والتي تقتضي الفصل والتفرقة، بمعنى مقابلة المنافق بالمؤمن، كما في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ﴿مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ (١).

وأيضا النفاق يعني الكذب، والكذب مقابل للتصديق كما في قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ (٢) وبناء عليه :لا اعتبار لركنية في الإيمان غير التصديق.

والحق المعتبر أن الأصل في الإيمان هو التصديق، أما العمل فهو شرط لكمال صحة الإيمان، أي إن الإيمان الحق لا يكمل إلا إذا كان مقرونًا بالأعمال الصالحة، ولا يفوت الإيمان بفواته بل يسمى تارك العمل مؤمنًا أيضًا، فليس من المعقول أن يُسلب الإيمان عمن ترك صلاة أو زكاة أو حجًا، وإنما يُسمى مؤمنًا عاصيًا، وهذا قول أهل السنة أيضًا.

دلالة الســـياق في بعض ما ورد من آيات تحمل لفظ (الإيمان) بمعنى التصديق كثيرة، أسوق منها ما يلى:

١- قول الله تعالى: ﴿الْأَخْزَابِ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾(٣).

(١) سورة الحديد، الآية ١٣.
(٢) سورة المنافقون: ١
(٣) سورة المجادلة آية ٢٢.

٢- قول الله تعالى: ﴿* قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ (١).

٣- قول النبي ﷺ لأســـامة بن زيد عندما قتل من قال لا إله إلا الله: "أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟(٢).

فهذه النصوص تدل على أن الأصل في الإيمان هو التصديق بالقلب، وإذا عُدم التصديق بالقلب لا يسمى الشخص مؤمناً، واستحق الخلود في النار، أما العمل بالجوارح والإقرار باللســـان فهى فروع للإيمان أو هي أدلة على تصـــديق القلب.

كما أن الأدلة على أن العمل غير داخل في حقيقة الإيمان كثيرة، أســـوق منها ما يلى:

١- قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧﴾(٣).

٢- قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨﴾ (٤).

---

(١) سورة الحجرات آية ١٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١ / ٩٦)، حديث رقم ٩٦،كتاب: الإيمان، باب: باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله.

(٣) سورة الكهف آية ١٠٧.

(٤) سورة التوبة آية ١٨.

ففي هذه الآيات عطف الله سـبحانه وتعالى العمل على الإيمان، والعطف بالواو يقتضـى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، فدل ذلك على أن العمل غير الإيمـان؛ لأنـه لو لم يكن العمـل غير الإيمـان لاكتفى بـذكر الإيمـان في الحديث عن هؤلاء، دون عطف العمل عليه، لكن لما عطف العمل الصالح على الإيمان دل ذلك على أن هناك فرقًا بين الإيمان الذى محله التصـديق بالقلب، وبين الأعمال التي محلها الجوارح.

٣- قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾[1].

وجه الاسـتدلال بهذه الآية: هو أن الله سـبحانه وتعالى خاطب المؤمنين بلفظ الإيمان فقال:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ثم أوجب عليهم العمل بقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ فدل ذلك على أن العمل غير داخل فى حقيقة الإيمان.

٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [2].

وجه الاستدلال بهذه الآية: انعقاد الإيمان بمجرد التصديق مع فقد العمل، وقد أثبت لهم الله تعالى حق النصـرة، وهذا الاسـتثناء لكونهم مصـدقين، والذي أوجب لهم هذه النصـرة هو الاشـتراك في وصـف واحد هو الإيمان الذي يعني التصديق فقط.

(١) سورة البقرة آية ١٨٣.

(٢) سورة الأنفال، جزء من الآية ٧٢.

الخاتمة:

أهم النتائج:

- موافقة أهل السـنة (الأشـاعرة- الماترية) لقواعد اللغة العربية، ما لم يمنع منه مانع.
- التصديق أمر ذاتي للإيمان، والعمل أمر خارج عن ماهية الإيمان.
- لا يُفهم من كلام (الأشـــاعرة- الماتريدية) إهمال العمل في الدنيا، بقولهم الإيمان هو التصـديق، بل كل ما في الأمر هو التفرقة بين أصـل الشـيء وكمال الشيء، وكون الإيمان هو المنجي من الخلود في النار.
- الفهم الصحيح لماهية الإيمان يؤدي إلى الاستقرار النفسي للإنسان، ويعصمه من الولوج في مزالق الكفر والتكفير.
- تكفير الناس وترهيبهم هو أثر من أثار الفهم الخاطئ لحقيقة الإيمان، والشرود عن مسلك أهل الحق.
- الإيمان هو المحور الجوهري لأمن المجتمع واســتقراره، ينتج عنه الحرية الفردية التي تُنتج الحرية المجتمعية.
- الإيمان هو الدافع للعمل وتجويده، فالمسلم يعمل لغاية نبيلة تقوي عزيمته نحو الهدف وينتظر أجرها في الآخرة.

المصادر والمراجع

- أبكار الأفكار في أصـــول الدين، للإمام ســـيف الدين الآمدي (ت ٦٣١هـــــ)، تحقيق أحمد محمد المهدي، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ط٢.
- أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم ٩٦، كتاب: الإيمان، باب: باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله.
- الاعتصـام، لإبراهيم الغرناطي، الشـهير بالشـاطبي، تحقيق/ محمد بن عبدالرحمن الشـــقير، دار الجوزي، المملكة العربية الســـعودية، ط١ (١٤٢٩هـ).
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢م.
- تاج التراجم، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي الحنفي (ت: ٨٧٩هـ)، تحقيق/ محمد خير رمضـان يوسـف، دار القلم – دمشـق، ط١/ ١٤١٣ هـ =١٩٩٢م.
- تـاج العروس في جواهر القاموس، محمـد بن عبـد الرازق الحســـيني الزبيدي، تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تاريخ الإســلام وَوَفيات المشــاهير وَالأعلام، شــمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـــ) تحقيق/ د. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، (ط١)، ٢٠٠٣م.
- تاريخ الجهمية والمعتزلة، للشيخ/ جمال الدين القاسمي الدمشقي، مؤسسة الرسالة، ط١، سنة ١٣٩٩هـ =١٩٧٩م.

- تبصرة الأدلة في أصول الدين، أبي المعين النسفي الماتريدي، تحقيق/ محمد الأنوار حامد عيسي، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ٢٠١١م.
- تحرير القواعد المنطقية، قطب الدين محمود بن محمد الرازي (ت٧٦٦هـ)، شرح الرسالة الشمسية، نجم الدين القزويني الكاتبي (ت٦٩٣هـ)، حاشية الشريف الجرجاني، (ت٨١٦هـ)، مطبعة البابي الحلبي، ط٢ (١٣٦٧هـ=١٩٤٨م).
- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، لأبؤ بكر الباقلاني، تحقيق/ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الدار الثقافية، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ =١٩٨٧م.
- التوحيد، لأبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق/ فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية.
- الجامع الكبير، سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (ت: ٧٧٥هـ)، مير محمد كتب خانه – كراتشي.
- سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (ت ١٠٦٧ هـ)، تحقيق/ محمود عبد القادر الأرناؤوط، أكمل الدين إحسان أوغلي، مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، ٢٠١٠م.

- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث (ت: ٢٧٥هـــ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، كتاب الســـنة، باب في القدر، حديث رقم٤٦٩٥، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار، تحقيق/ عبد الكريم عثمان، تعليق/ الإمام أحمد بن الحســـين بن أبي هاشـــم، مكتبة وهبة، ط٣، ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م.
- شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني"تـــــ٧٩١هـ"، دار المعارف النعماني، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م (باكستان).
- شرح وصية الإمام أبي حنيفة في التوحيد ، ليوسف بن خالد السمتي، لوحة ١ ب مخطوط.
- شرح وصية الإمام أبي حنيفة لأكمل الدين البابرتي (ت٧٨٦هـ) تحقيق/ محمد صبحي العايدي وجمزة محمد وسيم، دار الفتح ٢٠٠٩م.
- صحيح مسلم، الحجاج أبو الحسن النيسابوري، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإســـلام، والقدر، حديث رقم٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- طبقات المفســـرين العشـــرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين الســـيوطي (ت: ٩١١هـــــ)، تحقيق/ علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، ط١/ ١٣٩٦.
- طبقات المفســـرين، أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (ت: ق ١١هـــ)، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ= ١٩٩٧م.

- عمدة العقائد، أبو البركات النســفي، تحقيق/ عبدالله أســماعيل، المكتبة الأزهرية- الجزيرة، سنة الطبع ٢٠١٣م.
- غاية المرام في علم الكلام أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت: ٦٣١هـ) تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.
- الفرق الكلامية مدخل ودراســـة، علي عبدالفتاح المغربي، مكتبة وهبة القاهرة ط٢، ١٩٩٥م.
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصـــور، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧م.
- لســـان العرب، لإبن منظور، تحقيق/ عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
- اللمع للإمام الأشعري، صححه د. حمودة غرابة، مكتبة مصر، بالقاهرة ط/ ١٩٥٥م.
- متشــابه القرآن، للقاضــى عبد الجبار أحمد الهمذاني، تحقيق/ د. عدنان محمد زرزور، مكتبة دار التراث.
- محاضــرات في علم التوحيد كلية أصــول الدين، محمد يوســف الشــيخ، مطبعة مخيمر القاهرة بدون تاريخ.
- مختار الصـــحاح، أبو بكر عبدالقادر الرازي، تحقيق/ محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – طبعه جديده، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.
- مســـند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـــ)، أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ = ١٩٩٥م.

- معجم المؤلفين، عمر بن رضـــا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (ت: ١٤٠٨هـ) مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- مفاتيح الغيب، الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشـــافعي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١/ ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحســـن، تحقيق/ هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة.
- الملـل والنحـل، أبو الفتح محمـد بن عبـد الكريم بن أبى بكر أحمـد الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي.
- المنطق الصـوري (التصـورات والتصـديقات)، إعداد/ د. يوسـف محمود، دار الحكمة، الدوحة، ط١ (١٤١٤هـ= ١٩٩٣م).
- الهداية في أصـول الاعتقاد، لعلاء الدين محمد بن عبدالحميد الأسمندي السمرقندي "تـــــ ٥٥٢هـ"، دراسة وتحقيق/ أ.د عبدالله محمد إسماعيل، دار الإمام الرازي، (ط١) ١٤٤٣هـ= ٢٠٢٢م.
- الوافي بالوفيات، صـلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصـفدي (ت: ٧٦٤هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م.

فهرس الموضوعات

- ملخص البحث: ٢١٥
مقدمة ٢١٨
- أسباب اختيار الموضوع: ٢١٩
- خطة الدراسة..... ٢١٩
التمهيد: التعريف بالشيخ الأسمندي السمرقندي ٢٢٠
المبحث الأول: ماهية الإيمان في الفكر الكلامي ٢٢٣
- ماهية الإيمان عند الخوارج والمعتزلة:..... ٢٣١
- موقف الأسمندي منهما..... ٢٣٤
- ماهية الإيمان عند النجارية والكرامية والمرجئة..... ٢٣٤
المبحث الثاني: الدلالات النقلية والعقلية عند الشيخ الأسمندي السمرقندي ٢٣٩
- الدلالة العقلية التي ساقها الأسمندي في الرد على الخوارج: ٢٣٩
- الدلالة النقلية والعقلية التي ساقها الأسمندي في الرد على المعتزلة: ٢٤٠
- دلالة السياق فيما تعلق به الخصوم: ٢٤٣
- رد الأسمندي على ما تعلق به الخصوم: ٢٤٣
- الدلالة النقلية والعقلية التي ساقها الأسمندي في الرد على النجارية: ٢٤٥
- الدلالة النقلية والعقلية التي ساقها الأسمندي في الرد على الكرامية: ٢٤٧
الخاتمة: ٢٥٢
المصادر والمراجع ٢٥٣
فهرس الموضوعات ٢٥٨